سلسلة
الإستشراق
الأنجلوأمريكان
٥

المسلمون الأوروبيون

التطور التاريخي، القضايا المعاصرة، والتحديات المستقبلية

بنـاءً علـى اتفـاق ملـزِم مـع الناشـر الأجنبـي ترجمـة قانونيـة كاملـة مـن الأصـل الصـادر باللغــة الإنجليزية:

First published in English under the title:

Muslims in Europe

Historical developments, present issues, and future challenges

Edited by: Rauf Ceylan · Marvin Mücke

Copyright © Springer Nature Switzerland A.G. 2024.

This Edition has been translated and published under licence from Springer Nature Limited.

Springer Nature Limited takes no responsibility and shall not be made liable for the accuracy of the translation.

To be reproduced exactly as it appears in the original work

المسلمون الأوروبيون

التطور التاريخي، القضايا المعاصرة، والتحديات المستقبلية

تحرير

رؤوف جيلان ومارفن موكه

ترجمة

عمرو نصار

RED SEA
البحر الأحمر

المسلمون الأوروبيون

التطور التاريخي، القضايا المعاصرة، والتحديات المستقبلية

رؤوف جيلان ومارفن موكه

ترجمة: عمرو نصار

الطبعة الأولى

القاهرة 2026

رقم الإيداع: 32779/ 2025

الترقيم الدولي: ISBN: 978 - 977 - 8836 - 75 - 2

المقاس: 14.5 × 21.5.

عدد الصفحات: 472.

«الآراء التي يتضمنها هذا الكتاب لا تعبر بالضرورة عن وجهة نظر مكتبة البحر الأحمر».

مكتبة البحر الأحمر

42 ش ماري جرجس- مجمع الأديان - المنطقة السياحية - مصر القديمة - القاهرة.

هاتف: 0020227412286

محمول: 00201144418191

www.redseabookstores.com

E-mail:info@redseabookstores.com

السلسلة:

سلسلة تُعنى بترجمة البحوث والكتب ورسائل الدكتوراه المعتبرة التي تتماسّ مع واقعنا العربي الإسلامي، نهدف منها إلى إيصال الجهد المعرفي والبحثي الغربي المتعلق بنا إلى جامعاتنا ومراكزنا البحثية؛ حتى نكون على اطلاع مستمر بكل جديد ومهم قد نُفيد منه في رؤيتنا لأنفسنا، كما قد يهمنا في رصد ما يحرك الفكر الغربي ويشغله من ناحيتنا الآن وسوف يسوده بعد عقود بعد أن جرى التمهيد له في الحاضر.

الآراء الواردة في هذه السلسلة تعبر فقط عن كُتّابها.

المشاركون في الكتاب:

المحرران: رؤوف جيلان ومارفن موكه

رؤوف جيلان: هو أستاذ دراسات الإسلام المعاصر، في معهد اللاهوت الإسلامي (IIT) في جامعة أوسنابروك، في ألمانيا منذ عام ٢٠٠٩. وقد شغل منصب أستاذ زائر في جامعة زيورخ عام ٢٠١٨. ولد في عام ١٩٧٦ في دويسبورغ لعائلة كردية. له العديد من المنشورات حول الإسلام المعاصر وأبحاث الهجرة. وتتركز أبحاثه على علم اجتماع الهجرة والدين، والمساجد وجوانبها الاجتماعية، دور الأئمة ووظائفهم، والعنف باسم الدين. وهو عضو في معهد أبحاث الهجرة والدراسات متعددة الثقافات ومجلس الهجرة.

مارفن موكه: هو باحث مساعد في معهد الدراسات الإسلامية بجامعة أوسنابروك. تتركز اهتماماته البحثية في مجالات اعتناق الإسلام، والتطرف، والوقاية من التطرف. وقد نشر دراسة مهمة بعنوان "البحث عن التحول إلى الإسلام في ألمانيا بين ١٩٩٥ و٢٠٢٢" مع زميله سورين سبونيك. كما حصل على درجة الماجستير في الدراسات العربية والشرق أوسطية من جامعة إدنبرة.

المترجم: عمرو نصار

- باحث وأكاديمي مصري له اهتمامات عدة، يعمل حاليًا مدرسًا للأدب الإنجليزي والدراسات الأدبية.
- حصل على الماجستير في الشعر والأسلوبية. كما حصل على الدكتوراة في الدراسات الأدبية ودراسات الذاكرة وهو اهتمامه الرئيس.

فهرس المحتويات

تصدير المترجم ١١

الجزء الأول: غرب أوروبا ٣١

الفصل الأول: المسلم في ظل الدولة العلمانية: التاريخ والحقائق الاجتماعية والإشكاليات المؤسسية – النموذج الفرنسي ٣٣

١– المقدمة ٣٥

٢– نشأة الوجود الإسلامي في فرنسا والبيانات الديموغرافية ٣٥

٣– أشكال التدين الإسلامي والنزاع الفكري وإعادة البناء الاجتماعي ٤١

٤– تدبير الشأن الإسلامي في فرنسا ٥٤

الفصل الثاني: المسلمون في بلجيكا: من العمالة المهاجرة الوافدة إلى أقلية متعددة الأوجه ومثيرة للجدل ٧٧

١– التطور التاريخي للإسلام والسكان المسلمين ٧٨

٢– القضايا الراهنة وحالة البحث الأكاديمي حول المسلمين والإسلام ٨٥

٣– التحديات المستقبلية ٩٤

الفصل الثالث: الإسلام في هولندا: كتلة طائفية أم "طابور خامس"؟ ١١١

١– المقدمة ١١٢

٢– تطويع الدِّين و"صناعة الإسلام" في هولندا ١١٨

٣– الإسلام والتكتُّل ١٢٤

٤– نشأة الإسلام كفئة سياسية: المرحلة الأولى – أسلمة المهاجرين ١٢٦

٥– نشأة الإسلام كفئة سياسية: المرحلة الثانية – الإسلام والأمة الهولندية ١٣١

٦- نشأة الإسلام كفئة سياسية: المرحلة الثالثة - الإكراه والأمنَنة ١٣٣
٧- آفاق مستقبلية ١٣٧
الفصل الرابع: الدراسات الإسلامية حول الإسلام في ألمانيا: التكامل الهيكلي والصراعات التنافسية على السلطة التفسيرية في المجال الديني ١٤٩
١- المقدمة ١٥٠
٢- المؤتمر الألماني الإسلامي - خطوة نحو الاعتراف والتكامل الهيكلي للإسلام١٥١
٣- توصيات المجلس الألماني العلمي لإنشاء مراكز لعلم اللاهوت الإسلامي في الجامعات الألمانية ١٥٦
٤- تأسيس معاهد اللاهوت الإسلامي وتباين الملامح المؤسساتية ١٥٨
٥- الأئمة - صناعة ألمانية ١٦٥
٦- الخاتمة ١٦٩
الفصل الخامس: البحث العلمي حول التحول للإسلام في ألمانيا بين عامي: ١٩٩٥ و٢٠٢٢ ..... ١٧٥
١- المقدمة ١٧٦
٢- نقطة الانطلاق: البحث في ظاهرة اعتناق الإسلام في ألمانيا منذ عام ١٩٩٥ .. ١٧٨
٣- الخاتمة ٢٠٩
الفصل السادس: الإسلام والمسلمون في سويسرا من منظور الظهور الديني والنشاط الإسلامي ٢٢١
١- التطور التاريخي ٢٢٢
٢-الظهور الديني والمواقف المحافظة: قضايا وتحديات ٢٢٧
الفصل السابع: العلويون والمسلمون الأتراك في النمسا: التاريخ والتطورات الحالية ٢٥٣
١- المقدمة ٢٥٤

٢- نظرة تاريخية موجزة: المسلمون والمسيحيون في أوروبا ٢٥٧
٣- التطورات الحالية ٢٦٤
٤- نظرة استشرافية ٢٨٤
الجزء الثاني: جنوب أوروبا ٢٩١
الفصل الثامن: الحرية الدينية والحقوق المدنية والإسلام في إسبانيا ٢٩٣
١- التطور التاريخي للإسلام والمجتمعات المسلمة ٢٩٥
٢- هيكل المحاور الوحيد مع الدولة: هل ثمة حاجة للتغيير؟ ٣٠١
٣- مكافحة التمييز ضد المسلمين: تحديات متعددة الأبعاد ٣٠٤
٤- واقع البحث الأكاديمي حول المسلمين والإسلام في إسبانيا ٣١١
٥- تحديات المستقبل ٣١٣
الفصل التاسع: حضور غير معترف به - الإسلام في الفضاء العام الإيطالي: التاريخ، وردود الفعل، والآفاق ٣٢٣
١- ملاحظات تاريخية ٣٢٤
٢- بين صقلية والبندقية ٣٣١
٣- عودة الإسلام ٣٣٨
٤- الوضع الحالي: بيانات كمية ونوعية ٣٤٠
٥- حوادث تأويلية: إدراك الإسلام من خلال الصراع ٣٤٤
٦- كيف يغير الحضور الإسلامي المجتمع الإيطالي؟ ٣٤٧
الجزء الثالث: جنوب شرق أوروبا ٣٥٧
الفصل العاشر: الإسلام والمسلمون في منظور التأريخ الكرواتي ٣٥٩
١- المقدمة ٣٦٠
٢- أصول الخطاب المناهض للإسلام في العصر الحديث (حوالي ١٥٠٠ - ١٨٤٠) ٣٦٥

٣- ولادة التأريخ الكرواتي الحديث والخطاب المناهض للإسلام (حوالي ١٨٤٠-١٩٠٠)..... ٣٧٠
٤-انحسار الخطاب المناهض للإسلام..... ٣٨٨
٥-الخاتمة..... ٤٠١
الفصل الحادي عشر: منصب المفتي في اليونان: غموض قديم وجديد..... ٤٠٧
١- المقدمة..... ٤٠٨
٢- مكاتب الإفتاء كهيئات حكومية وإشكالية اختيار المفتي ٤١٢
٣-المفتي كقاضٍ وتطبيق الشريعة الإسلامية..... ٤١٧
٤- قضية مولا سالي (المحاكم اليونانية - المحكمة الأوروبية لحقوق الإنسان).. ٤٢٢
٥- هل حان وقت الإصلاح من جديد؟ ٤٢٥
٦- الخاتمة..... ٤٢٧
الجزء الرابع : شمال أوروبا..... ٤٣٣
الفصل الثاني عشر: المسلمون في السويد: التطورات التاريخية، والقضايا الحالية، والتحديات المستقبلية ٤٣٥
١-المقدمة ٤٣٦
٢- اللقاءات المبكرة ٤٣٧
٣- قضايا حالية وحالة البحث الأكاديمي حول المسلمين والإسلام ٤٤٧
٤- التحديات المستقبلية ٤٥٦

تصدير المترجم

في قلب أوروبا اليوم، تتردد أصداء حضارة عريقة امتدت جذورها عبْر القارة لأكثر من ألف عام. إنها قصة الإسلام في أوروبا، قصة لا تبدأ مع موجات الهجرة المعاصرة، بل تمتد عبر التاريخ في نسيج معقد من التفاعل الحضاري والصراع والتعايش. من عصر الأندلس الذهبي إلى صيحات المآذن في إسطنبول، ومن القصور العثمانية في البلقان إلى مساجد باريس ولندن اليوم، يحكي هذا الكتاب قصة حضورٍ إسلامي متجذر في التربة الأوروبية أكثر مما يدركه كثيرون. إن العلاقة بين الإسلام وأوروبا ليست مجرد حادثة تاريخية أو ظاهرة معاصرة، بل هي سرد متواصل من التبادل الثقافي والسياسي والديني الذي شكّل هوية القارة الأوروبية ذاتها. وفي عصر تتزايد فيه التساؤلات حول مكانة المسلمين في المجتمعات الأوروبية، يأتي هذا العمل الأكاديمي الرصين ليقدم فهمًا عميقًا ومتوازنًا لواقع معقد يحتاج إلى نظرة علمية دقيقة.

انطلقت موجات الهجرة الحديثة نحو القارة الأوروبية في خمسينيات القرن المنصرم، في لحظة تاريخية فارقة عندما فتحت الدول الأوروبية أبوابها على مِصراعيها للعمالة الوافدة، في مسعى حثيث لإعادة بناء ما دمرته آلة الحرب العالمية الثانية الجهنمية. وهكذا وصل الأتراك إلى الأراضي الألمانية حاملين معهم خبراتهم وآمالهم، بينما توجه المغاربة نيابة عن شمال أفريقيا إلى هولندا وفرنسا، واتجه الباكستانيون صوب بريطانيا العظمى، وكلهم يحملون في قلوبهم أحلام الرزق الحلال، وآمال المستقبل المشرق لأبنائهم. لكن ما

بدأ كهجرة عمَّالية مؤقتة، مقيدة بعقود محددة المدة، سرعان ما تحول إلى استقرار دائم ومتجذر، وذلك خاصة مع تطبيق سياسات لمِّ الشمل الإنسانية التي سمحت للعائلات المتناثرة بالانضمام إلى أفرادها الآخرين في أرض المهجر. وهكذا نشأت وترعرعت الجاليات المسلمة في أوروبا، وانطلقت مرحلة جديدة ومميزة من التفاعل الحضاري بين الإسلام كدين وعقيدة وثقافة، وأوروبا كفضاء حضاري وجغرافي متميز. ثم توالت موجات اللجوء المتتالية كأمواج بحر هائج، فجاء الإيرانيون فرارًا من تداعيات ثورة ١٩٧٩، وتحولاتها السياسية العاصفة، وتدفق أهل البلقان هربًا من ويلات الحروب اليوغوسلافية المدمرة في التسعينيات، ووصل الصوماليون والعراقيون والأفغان حاملين جراح بلدانهم وآلام شعوبهم، وأخيرًا، السوريون الذين حملتهم رياح الحرب الأهلية الطاحنة إلى شواطئ أوروبا الآمنة. كل موجة من هذه الموجات الإنسانية حملت في طياتها تحديات خاصة بها وإسهامات مميزة؛ مما جعل الجاليات المسلمة في أوروبا تتسم بالتنوع الثري والمذهل في الأصول الجغرافية والمذاهب الدينية والطبقات الاجتماعية والخلفيات الثقافية، فتشكل بذلك فسيفساء إنسانية بديعة، تعكس ثراء العالم الإسلامي وتنوعه الحضاري في قلب القارة الأوروبية.

لا يمكن فهم الإسلام المعاصر في أوروبا دون العودة إلى الحقبة العثمانية التي امتدت لأكثر من ستة قرون، حيث شكلت الدولة العثمانية جسرًا حضاريًا بين الشرق والغرب. ويجب أن نشير هنا إلى جانبين في هذه العلاقة. يتمثل الجانب الأول في التواصل الثقافي والديني المتسامح؛ حيث لم تكن هذه الإمبراطورية مجرد قوة عسكرية، بل كانت نموذجًا للتعددية

الدينية والثقافية في عصرها، حيث ازدهرت في ظلها جاليات متنوعة من المسيحيين واليهود والمسلمين. فالبلقان اليوم يحمل في طياته آثار هذا التاريخ العثماني، فمسلمو البوسنة وألبانيا وكوسوفو هم شاهد حي على عمق الجذور الإسلامية في القارة الأوروبية. هؤلاء المسلمون الأوروبيون، الذين يتحدثون لغات أوروبية، ويحملون هويات أوروبية أصيلة، يدحضون الفكرة الخاطئة بأن الإسلام دخيل على أوروبا. كما أن النظام العثماني في إدارة التنوع الديني -نظام الملل- ترك بصماته على الأنظمة القانونية المعاصرة في أوروبا. ففي اليونان مثلًا، لا يزال المفتي يمارس صلاحيات قضائية في الأحوال الشخصية للمسلمين، وهو إرث مباشر من النظام العثماني. هذا التداخل التاريخي يعني أن النقاشات المعاصرة حول "أسلمة أوروبا" تتجاهل حقيقة أن الإسلام جزء من النسيج التاريخي الأوروبي.

أما الجانب الثاني في العلاقة بين الإمبراطورية العثمانية وأوروبا، فيتسم بأنه شديد التعقيد بشكل استثنائي، يعكس طبيعة السياسة الدولية في تلك الحقب، حيث لم تكن هذه العلاقة مقتصرة على الصدام أو التواصل الحضاري أو الديني، كما يُصوَّر أحيانًا، بل كانت شبكة معقدة من المصالح المتضاربة والتحالفات المتقلبة التي تحكمها اعتبارات الجغرافيا السياسية أكثر من العقيدة الدينية. فتارة نرى القوى الأوروبية تُبرم المعاهدات التجارية والدبلوماسية مع الباب العالي، وتارة أخرى تتصارع معه في ميادين القتال، وفي مناسبات أخرى -وهذا الأهم- تقف إلى جانبه في تحالفات استراتيجية تتحدى المفاهيم التقليدية للصراع بين الإسلام والمسيحية.

لعل أبرز هذه التحالفات وأكثرها دلالة على البراغماتية السياسية الأوروبية كان التحالف العثماني-الأوروبي في مواجهة التوسع الروسي. فحين بدأت الإمبراطورية الروسية تتمدد جنوبًا نحو البحر الأسود والبلقان، وجدت القوى الأوروبية -وخاصة بريطانيا وفرنسا- نفسها في موقف استراتيجي حرج. كان الخيار أمامها بين قبول هيمنة روسية تهدد التوازن الأوروبي، أو دعم الإمبراطورية العثمانية المتداعية كحاجز أمام هذا التمدد. وقد تجلى هذا التحالف بأوضح صوره في حرب القرم (١٨٥٣-١٨٥٦)، حيث وقفت بريطانيا وفرنسا -وهما قلب أوروبا المسيحية- إلى جانب السلطان العثماني ضد القيصر الروسي. لم تكن هذه مجرد مساعدة دبلوماسية، بل مشاركة فعلية في القتال، حيث سقط عشرات الآلاف من الجنود الأوروبيين دفاعًا عن أراضي الإمبراطورية العثمانية. كانت هذه المفارقة التاريخية تُظهر كيف أن المصالح الجيوسياسية تتفوق على الاعتبارات الدينية في صنع القرارات الاستراتيجية.

أما التحالف الثاني، فكان أكثر تعقيدًا ومأساوية، وهو ما حدث عندما حاول علي بك الكبير -ذلك الأمير المملوكي الطموح- أن يخط لمصر والشام مسارًا مستقلًا عن الإمبراطورية العثمانية في النصف الثاني من القرن الثامن عشر. كان علي بك الكبير رجلًا استثنائيًا، استطاع أن يحول مصر من ولاية عثمانية خاضعة إلى قوة إقليمية مستقلة، بل إنه تجرأ على ضم الشام وتحدِّي السلطان العثماني نفسه. وعندما زحفت الجيوش العثمانية لاستعادة السيطرة على مصر والشام، لم تكن تواجه مجرد تمرد إقليمي، بل مشروعًا حضاريًا مستقلًا يهدد الوحدة الإمبراطورية. وحين مُنيت هذه الجيوش بهزائم

مذلة أمام القوات المصرية المنضبطة والمدربة، لم تتردد القوى الأوروبية في تقديم المساعدة العسكرية المباشرة للعثمانيين. فقد أرسلت روسيا والنمسا -وحتى بعض الدول الإيطالية- قوات لمساندة الجيش العثماني، خوفًا من أن يؤدي نجاح التجربة المصرية إلى تفكك الإمبراطورية العثمانية واختلال التوازن في المنطقة. لكن هذه القوات الأوروبية-العثمانية المتحالفة واجهت نفس المصير المذل، حيث سحقتها الجيوش المصرية في معارك متتالية أظهرت التفوق العسكري والتنظيمي المصري. غير أن القدر شاء أن تتدخل الخيانة الداخلية، حيث قام محمد بك أبو الذهب -نائب علي بك الكبير ورفيق دربه- بخيانة مدبرة، إذ انسحب بجيشه في أحرج اللحظات تاركًا الجيش المصري عرضة لهجوم مدمر. كانت هذه الخيانة، التي اشتراها العثمانيون بالذهب والوعود، نهاية لأول تجربة استقلال مصرية حديثة.

لكن التحالف الأكثر شهرة ووضوحًا، كان ذلك الذي تشكل لمواجهة محمد علي باشا في النصف الأول من القرن التاسع عشر. فعندما نجح محمد علي في بناء مصر الحديثة وتحويلها إلى قوة إقليمية عظمى، وعندما امتدت فتوحاته لتشمل السودان والحجاز والشام، بل ووصلت إلى أبواب إسطنبول نفسها، أدركت القوى الأوروبية أن مشروع محمد علي يهدد ليس فقط الإمبراطورية العثمانية، بل التوازن الأوروبي بأكمله. كان محمد علي يبني إمبراطورية عربية حديثة تمتد من السودان إلى الأناضول، وقد نجح في إنشاء جيش عصري وأسطول قوي وصناعة متطورة. هذا المشروع النهضوي العربي كان يهدد المصالح الأوروبية في المنطقة، خاصة الطريق إلى الهند والسيطرة على التجارة الشرقية. ولذلك؛ تشكل تحالف رباعي غير مسبوق

ضم بريطانيا وروسيا والنمسا وبروسيا -القوى الأوروبية الكبرى كلها- إلى جانب الإمبراطورية العثمانية لسحق مشروع محمد علي. لم يكن هذا التحالف مجرد دعم دبلوماسي أو مالي، بل تدخل عسكري مباشر، حيث قصف الأسطول البريطاني موانئ عكا وبيروت، وهدد بقصف الإسكندرية نفسها، بينما مارست القوى الأوروبية ضغوطًا دبلوماسية واقتصادية هائلة لإجبار محمد علي على التراجع.

ولعل أبلغ ما يمكن أن نستشهد به لتقديم فهم أعمق من داخل البلقان عن جدلية العلاقة بين الدولة العثمانية وأوروبا، هو تلك التحفة الأدبية الخالدة للكاتب اليوغوسلافي الحاصل على نوبل، إيفو أندريتش، والتي تحمل عنوان: "جسر على نهر درينا". ففي محيط الآداب العالمية، نادرة هي الأعمال التي استطاعت أن تسبر أغوار التاريخ البلقاني وتصور تعقيداته بذلك العمق الفلسفي والدقة التاريخية التي بلغتها هذه الرواية الملحمية. تتخذ الرواية من جسر حجري عثماني عتيق في مدينة فيشغراد البوسنية منطلقًا رمزيًا ومحورًا سرديًا، لتقدم لنا أنموذجًا أدبيًا فريدًا في تجسيد العلاقة المتشابكة بين الإسلام وأوروبا الشرقية عبر امتداد التاريخ. هذا الجسر، الذي يقف شامخًا كرمز للعبقرية المعمارية العثمانية، بناه الصدر الأعظم محمد باشا سوكولوفيتش في القرن السادس عشر – وهو في حد ذاته شاهد على تعقيدات الهوية البلقانية، كونه ابن هذه الأرض الذي أُخذ صبيًا في نظام الدوشيرمة العثماني، ليرتقي لاحقًا إلى مصاف أعظم رجال الدولة في الإمبراطورية. ففي سرد أندريتش المتقن، يتجاوز هذا الجسر كونه مجرد إنجاز معماري، ليصبح رمزًا حضاريًا عميقًا للإمبراطورية العثمانية التي نجحت في نسْج خيوط الشرق والغرب

في نسيج واحد متماسك، حيث تمازجت التقاليد الإسلامية والمسيحية في تناغم حضاري فريد. يرسم أندريتش بريشة فنان ماهر كيف تحول هذا الجسر إلى نبض الحياة الاجتماعية في المدينة، حيث تتلاقى مسارات البشر من مختلف الأديان والخلفيات -مسلمون ومسيحيون ويهود- في مشهد حيوي يختصر روح التعايش التي طبعت الحقبة العثمانية في البلقان، وإن كانت تحمل في طياتها بذور التوتر والصراع.

إن ما يضفي على رواية أندريتش أهمية استثنائية في سياق دراسة الإسلام المعاصر في أوروبا، هو براعتها في تصوير التداخل المعقد للهويات الدينية والعرقية في البلقان، حيث لم تكن هذه الهويات منفصلة في جزر معزولة، بل متشابكة في نسيج اجتماعي واحد. فالمسلمون البوسنيون في عالم الرواية هم أبناء ذات الأرض التي ينتمي إليها جيرانهم المسيحيون، يتقاسمون معهم اللغة والتقاليد الشعبية والذاكرة الجمعية، لكنهم يحملون هوية دينية تشكلت عبر قرون من الانتماء إلى الحضارة العثمانية. وفي خاتمة الرواية المؤثرة، حين ينسف الجسر خلال أهوال الحرب العالمية الأولى، نجد أنفسنا أمام استعارة مؤلمة لانهيار النظام العثماني وتداعي منظومة التعايش التي رمز إليها. وما يجعل هذه الاستعارة أكثر إيلامًا هو تكرارها في التاريخ المعاصر، حين تم تدمير جسر موستار الأثري -وهو أيضًا من روائع العمارة العثمانية- خلال الحرب البوسنية عام ١٩٩٣، ليصبح رمزًا مأساويًا لتحطيم التراث المشترك وتمزيق نسيج التعايش الحضاري. لكن إعادة بناء الجسر لاحقًا تحمل في طياتها بشارة أمل، كونها ترمز إلى إمكانية ترميم جسور التفاهم والتعايش. هذا ما نشهده اليوم في مجتمعات البلقان، حيث تسعى الشعوب لإعادة نسج

خيوط التعايش التي مزقتها ويلات الحروب. هذا التعقيد التاريخي والثقافي لا يزال يلقي بظلاله على واقع المسلمين في أوروبا الشرقية المعاصرة. فمسلمو البوسنة، كما يوضح بتفصيل مضيء فصل **دينو موجادزيفيتش** في هذا المؤلف، واجهوا محنًا هوياتية عاصفة خلال الحروب اليوغوسلافية في التسعينيات. لم يكونوا "وافدين" أو "دخلاء" على الأرض الأوروبية، بل كانوا أوروبيين أصلاء تمتد جذورهم في التربة البلقانية لقرون، لكنهم وجدوا أنفسهم محاصرين في سراييفو ومذبوحين في سريبرينيتسا لمجرد انتمائهم الديني.

وهنا، يحق لنا أن نطرح سؤالًا جوهريًا يستدعي تأملًا عميقًا: إذا كان الإسلام متأصلًا بهذا العمق في التربة الأوروبية، وإذا كان التاريخ يشهد على قرون من التعايش والتفاعل الحضاري، فما هي الجذور الحقيقية لهذا العداء المتصاعد؟ وما هي الأسباب الكامنة وراء هذا التوتر الذي يطبع العلاقة بين الإسلام وأوروبا في عصرنا الراهن؟

إن الإجابة على هذا السؤال تتطلب غوصًا في أعماق الذاكرة الجمعية الأوروبية، حيث نجد أن هذه الذاكرة قد تشكلت بصورة انتقائية، تركز على لحظات الصراع والمواجهة، وتتجاهل فترات التعايش والتفاعل الإيجابي. فعندما يستحضر الأوروبيون تاريخهم مع الإسلام، سرعان ما تتبادر إلى أذهانهم صور حصار فيينا، أو سقوط القسطنطينية، أو الحروب الصليبية، بينما تبقى صفحات التبادل الثقافي والعلمي والتجاري في الظل. هذه الذاكرة المنتقاة ليست مجرد مصادفة تاريخية، بل هي نتاج عملية بناء هوية قومية أوروبية تحتاج إلى "آخر" تتميز عنه، وتتعرف على ذاتها من خلال مقارنتها

به. الإسلام، بقوته التاريخية وحضوره الجغرافي الممتد من الأندلس إلى البلقان، شكّل هذا "الآخر" المثالي في المخيال الأوروبي.

كما أن الحركة الاستشراقية، التي نشأت في أحضان الاستعمار الأوروبي، لعبت دورًا محوريًا في ترسيخ صورة نمطية عن الإسلام والمسلمين. فقد عمد المستشرقون، وإن لم يكن هذا قصدهم دائمًا، إلى تصوير الإسلام باعتباره دينًا جامدًا ومتخلفًا، وثقافة تنتمي إلى الماضي وتقف عقبة أمام التقدم والحداثة. هذه الصورة النمطية، التي روج لها إدوارد سعيد في كتابه الشهير "الاستشراق"، ساهمت في تشكيل وعي أوروبي يرى في الإسلام تهديدًا للقيم الأوروبية "المتقدمة". وفي العصر الحديث، أضافت الصراعات في الشرق الأوسط، وأحداث الحادي عشر من سبتمبر، وموجات الإرهاب التي ضربت المدن الأوروبية، طبقات جديدة من الخوف والريبة. هذه الأحداث -وإن كانت لا تمثل الإسلام في جوهره- إلا أنها أعادت إحياء مخاوف قديمة وربطت الإسلام في الأذهان بالعنف والتطرف. إضافة إلى ذلك، هناك مخاوف ديموغرافية حقيقية في بعض المجتمعات الأوروبية من تنامي نسبة السكان المسلمين، خاصة في ظل تراجع معدلات الولادة بين الأوروبيين الأصليين. هذا الخوف، وإن كان مبالغًا فيه أحيانًا، يغذي مشاعر القلق من "أسلمة" أوروبا أو تغيير طابعها الثقافي. وأخيرًا، لا يمكن إغفال دور الشعبوية السياسية في تأجيج هذا العداء. فقد وجدت أحزاب اليمين المتطرف في أوروبا ضالتها في استغلال المخاوف من الإسلام لكسب أصوات الناخبين؛ مما ساهم في تطبيع الخطاب المعادي للإسلام وجعله جزءًا من النقاش السياسي السائد.

إن فهم هذه الجذور المتشابكة للعداء لا يعني تبريرها، بل يساعدنا على وضع استراتيجيات أكثر فعالية لمواجهتها. فكما أن جسر أندريتش أُعيد بناؤه بعد تدميره، يمكن لجسور التفاهم أن تُعاد إلى الحياة إذا فهمنا طبيعة العوائق التي تحول دون بنائها، وعملنا على إزالتها بصبر وحكمة. الحقيقة أن الإسلام في أوروبا اليوم يواجه تحديًا مزدوجًا: من جهة، عليه أن يؤكد أصالة انتمائه للقارة الأوروبية وعمق جذوره فيها، ومن جهة أخرى، عليه أن يواجه موروثًا من سوء الفهم والمخاوف المتراكمة عبر قرون. هذا التحدي يتطلب جهدًا جماعيًا من المسلمين وغير المسلمين، على حد سواء، لإعادة كتابة سردية جديدة عن الإسلام في أوروبا – سردية تعترف بالتعقيد التاريخي وتبني على إمكانيات المستقبل المشترك.